ملف السينما العراقية.. أمل جديد للسينما العراقية

فؤاد العبودي

باستثناء عدد من الأفلام العراقية التي انتجت خارج سرب (السينما الموجهة) في عهد الطاغية المخلوع لم يشعر المشاهد العراقي بأي طعم لسينما عراقية خالصة تنبثق من واقع محلي وتفرز الكثير من البدائل الثقافية والقيمية على صعيد الفعل السينمائي المؤثر باعتبار أن الثقافة السينمائية هي إحدى الروافد المهمة لثقافة الجماهير العريضة.

وبحرص متوج بالمسؤولية تابعنا إنبثاق اتحاد السسينمائيين العراقيين الذين أتى في أعقاب خراب السينما وضياع معالمها الحقيقية إن المهمة التي تنكبها هؤلاء الحريصون أجدها باعتقادي المتواضع مهمة عسيرة.. لأن هناك جملة من المعوقات والحرص وحده لا يصنع المعجزات في مجال سينما تماهت أركانها وتزعزعت خلالها أسس القيام والنهوض بواقع (مريض مزمن).. هذا الواقع الذي أدى بالقائمين على شؤون سينما حرة لا تتعلق بأذيال الآمال والتمنيات يجعل صورة التطلع إلى نهوض سينمائي عراقي مثالي من الصعوبة بمكان إدراج قائمة الأفكار المعدة من قبل نخبة متسلحة بالعلم والفكر الديمقراطي.. ومعبأة باتجاهات السينما الحديثة لتقول كلمتها في العراق الجديد.. كيف ستعمل هذه الجهة السينمائية الجديدة وعلى أي أساس مادي بعد أن كانت دائرة السينما والمسرح وإلى ما قبل سقوط نظام الطاغية في واد وتطلعات السينمائيين العراقيين في واد آخر. لست متشائماً بطرحي هذا تجاه اتحاد سينمائي عراقي حيث لا يخلو الأمر من المرارة لأنهم وجدوا أنفسهم في إطار واهٍ غير محدد المعالم..

إن عملية الإنتاج السينمائي إذا لم تكن مستقلة عن تاثير الرياح الحكومية فلن نحصل والحالة هذه على أفلام ذات نكهة عراقية طيبة تأخذ في مفردات إنتاجها فعل الإنسان (همومه داخل قوقعة الواقع المتردي) (أحلام الشباب) نسيج المضمون الموضوعي الذي يتوخى مسألة التيارات الجديدة في مفهوم الإخراج الحديث ومدارسه المتعددة كل ذلك يجعلنا نؤكد أن النيات الحسنة وحدها لا تكفي.. كما لا يجوز أن يتعكز أصدقاؤنا السينمائيون الجدد (إذا كان ذلك وارداً في أذهانهم) على تعاون منتجين يضعون عامل الربح المادي قبل اعتبارات موضوعية العامل المعنوي والاعتباري للسينما العراقية... لأننا كثيراً ما اصطدمنا بمنتجين يقدمون (الحلاوة) المغموسة بالسم ذلك لأن البعض من هؤلاء هم أصلاً ليسوا من المثقفين السينمائيين وإنما ينظرون إلى السينما مثل (سباق الخيول).. أي يراهنون عليها بالربح ولا يعنيهم من أمر الفيلم في شيء آخر.

إن انبثاق اتحاد السينمائيين العراقيين ونجاحه في بلورة الأفكار الشابة يكمن أساساً في إحياء دور السينما والمسرح وجعلهما قطاعاً عاماً وبتخصيصات مالية تحترم التوجه السينمائي الجماهيري دون الالتفات إلى شباك التذاكر.. على أن يتولى إدارتها ناشطين شباب بحيث لا يبدأون من حيث انتهى مشوار الدائرة.. بل يتوجب أن يتحكم فعل المجابهة مع المهادنة والواقع المتجهم.. وينسجون أحلامهم السينمائية بتأكيد حالة توثب تأخذ في مدياتها قضية الإنسان وترجمة آفاق تطلعاته بعيداً عن السقوط في المباشرة والمبالغة.

وأتساءل وقلبي مع هذه المجموعة السينمائية التي جاءت بـ(قلب سليم) حتماً هل ستعتمد على وارداتها الخاصة والتمويل الذاتي الذي سيمنحها حرية التحرك والإنتاج وفقاً لهاجس سينما عراقية حرة مستنبطة من الواقع ولكن بمعالجة إخراجية تعتمد على فسحة الديمقراطية المتاحة في عراقنا الجديد.؟

سؤال مشروع برأيي.. لأنني أتمنى أن تقوم هذه المجموعة الطيبة بمهامها وهي يقيناً على معرفة تفصيلية بواقع السينما العراقية، إذ لا يتم ذلك إلا بعد جدولة (النفاق السينمائي العراقي) وإبراز وجه السينما العراقية التي نريد دون تحفظ يذكر على هذه التشكيلة.. فأبواب المستقبل مفتوحة ولكن باشتراط الصدق في التعامل وبعيداً عن القفز على الواقع.. فقد كفانا تنظيراً وكفانا اجتماعات ولقاءات.. فالحقيقة تقول أن السينما العراقية قد استلبت هويتها في زمن السقوط الصدامي وليس على هؤلاء الشباب أو من المتعاونين معهم إلا إدراك أن السيولة المادية المبرأة من الأغراض المصلحية هي مهمة جبارة وعسيرة.. ولا بأس أن نستقي المثل الصيني الذي يقول أن (خطوة الألف ميل تبدأ بخطوة)...

في ختام أيامه

فيلم أرجنتيني يفوز بذهبية ملتقى اصيلة السينمائي الأول

في ختام سبعة ايام من العروض السينمائية، انهى (ملتقى اصيلة لسينما الجنوب-جنوب) اعمال دورته الاولى بتوزيع جوائزه المالية للافلام الفائزة خلال حفل اقيم مساء امس الخميس في اصيلة.

وكرس الملتقى الفيلم الارجنتيني (غريب) الفائز بالجائزة الذهبية لسانتياغو لوزا الذي ياتي عمله الاول انعكاسا للموجة الجديدة في السينما الارجنتينية التي تعود الى واقعية جديدة مختلفة.

وتبلغ قيمة هذه الجائزة ٢٠ الف دولار، نالها الفيلم بعد نجاحه في اثارة اعجاب لجنة التحكيم خصوصا لحساسيته وشاعريته ولغته الخاصة.

وتدور احداث الفيلم في بيونس ايريس حيث يصل الطبيب مع اخته واولادها وتنشأ علاقة حميمة بينه هذا الجراح الذي توقف عن ممارسة مهنته وامرأة حامل تعيش بمفردها.

وتسلمت السفارة الارجنتينية في المغرب، بغياب المخرج، الجائزة التي صممها الفنان المغربي محمد المليحي.

اما الفيلم المغربي (في الدار البيضاء.. الملائكة لا تطير) لمحمد العسلي، فقد فاز بفضية المهرجان (١٢ الف دولار) وهو الفيلم الاول للمخرج ايضا، وسبق له الفوز في بينالي السينما العربية بباريس بجائزة مارون بغدادي.

ويروي الفيلم قصة ثلاثة شبان يعملون في احد مطاعم الدار البيضاء ولكل منهم هواجسه واحلامه وافكاره والوسط الاجتماعي الفقير والقروي الذي يتحدر منه، وبدلا من ان تتحسن اوضاعهم في المدينة، فانها ازدادت سوءا في عالم بات خاليا من الرحمة.

ومنحت جائزة السيناريو للفيلم الهندي (العبور) للمخرج راجيف فيجايا راغافان. وقد كتب سيناريو الفيلم الذي يحكي قصة ثوري ماركسي سابق متزوج من كاثوليكية، مراد سوكوماران.

ويتذكر الاب، خلال حديثه مع ابنته الشابة التي تنتمي الى جيل تختلف قيمه وعلاقته مع الدين، ماضيه وتمزقه المستمر وحصار عائلته التي ما زالت تقيم في الريف وصديقه الذي انتحر. وكل ذلك يجعله يشعر باتهام الجميع له، وقد نال الفيلم استحسانا كبيرا ممن شاهدوه في اصيلة.

اما جائزة افضل دور نسائي، فقد منحت مناصفة لكل من ريم علي عن دورها في فيلم السورية واحة الراهب (رؤى حالمة) الى جانب ناظمين فرحاني عن دورها في فيلم (طهران، السابعة صباحا) لمحمد شهاب راضافيان (٣٥٠٠ دولار لكل منهما).

وتؤدي ريم علي في الفيلم السوري دور الفتاة الحساسة جدا التي تنتمي الى اسرة متوسطة الحال لكن والدها تقليدي متسلط فتحاول الخروج من هذه الاجواء ومن الحي ايضا عبر اللجوء الى احلامها حيث تختلط الوقائع بالكوابيس.

وتلعب ناظمين فرحاني في الفيلم الايراني دور ممثلة.

ومنحت جائزة افضل ممثل للكازاخستاني اولزا نسوباييف عن دوره في فيلم (سكيزو) للمخرجة غوكا اوماروفا التي بكت فرحا وهي تتسلم الجائزة نيابة عن الممثل المراهق والجميل الاداء في اول فيلم كازاخستاني توقعه امرأة.

وفاز بذهبية الفيلم التسجيلي (خمسة الاف دولار) الفيلم المغربي بعنوان (الشيخات) للمخرج الشاب علي صافي وهو فيلمه التسجيلي السابع.

ويصور الفيلم حياة الشيخات، وهن مغنيات شعبيات في المغرب يحبهن الجمهور ويرفضهن بسبب الحرية التي يتمتعن بها وكلامهن الصريح عن الحب ومشاكل النساء. وقد عالج المخرج موضوعه بأناقة ومهنية جعلت عناصر الموضوع تتناغم لتعطي صورة نهائية جميلة للشيخات.

وقد صور صافي عالم الشيخات من خلال نماذج جميلة يتعلق بها المشاهد ليطل عبرها على عملها الفني في عالم يحتاج الى الكثير من الجرأة من خلال الشيخة عايشة والشيخة عايدة وغيرهن.

ومن جهته، حظي الفيلم الجورجي (مستوى البحر) لجورج اوفاشفيلي بذهبية الفيلم الروائي القصير (خمسة الاف دولار) وتدور قصته داخل قطار يجوب مناطق نائية وبداخله شاب وفتاة يكتشفان عواطفهما تجاه بعضهما البعض.

كما منحت لجنة التحكيم جائزتها التقديرية الخاصة للمخرج اللبناني جان شمعون الذي شارك في المسابقة بفيلمه التسجيلي الاخير (أرض النساء).

ويروي الفيلم تجربة جيلين من الفلسطينيات عبر تجارب قاسية ومن خلال قصة كفاح عفيفي التي تعيش في لبنان وكانت قد تعرضت للسجن من قبل الاسرائيليين في معتقل الخيام.

وترأس لجنة تحكيم ملتقى اصيلة السينمائي الاول لسينما الجنوب -جنوب موريتس دس هادلن مؤسس ومدير عدد من المهرجانات الدولية مثل لوكارنو وبرلين وشارك في اللجنة خمسة اعضاء بينهم المصري علي ابو شادي والسنغالي ماكينا ديوب.

واثر توزيع الجوائز، القى امين عام منتدى اصيلة وزير الخارجية المغربي محمد بن عيسى كلمة اكد فيها ان الملتقى الاول شكل فرصة (لتعارف الكثير من السينمائيين المشاركين وساهم في تبادل الخبرات والتجارب والمقترحات والافكار فيما بينهم).وقال: ان الملتقى (ارضية مفتوحة للتشاور بين سينمائيي الجنوب وبينهم وبين سينمائيي الشمال ومنطلقا للتفاعل والتحاور بين المبدعين) موضحا ان انجاز الدورة الاولى من هذا الملتقى (خطوة على درب الالف ميل).

حصار هوليود ووعي الآخر

احمد ثامر جهاد

دأبت الولايات المتحدة الأمريكية على توظيف المعطى السياسي في السينما بشكل لم يسبق له مثيل، لا في معدلات البذخ على هذا النمط من الأفلام و لا في درجة الإساءة والتشويه الذي لحق بالحقائق التاريخية للشعوب غير الغربية، والتي تعد غائبة ككيان فعلي مؤثر (غير صوري) بمقدار استمرارية ذلك المشروع من غير قنوات مؤثرة تفضحه .

وفي إطار سياستها الرامية لتهميش أي دور ريادي للآخرين في تشكيل العالم، حضارة ومعرفة، تحاول أمريكا اختيار الموضوع الذي ينبغي الانشغال به، بوصفها المنتج الأوحد لشتى أشكال الحياة (السياسية والاقتصادية والثقافية) . وما ذاك الانشغال المشروط، إلاّ نوع محترف من تقنين العلاقة بين صانع (الصورة) ومتلقيها . فما أن يكتمل تفسير إحداها وإدراك ماهيتها، حتى نجدنا قد انتقلنا إلى البحث عن التفسير الملائم لصورة أخرى، تسيء للواقع بطريقة مغايرة .

إن ذلك السعي العالمي يتضاعف يوماً تلو آخر، واضعاً قدراتنا خارج دائرة التأثير والمواصلة، اعتماداً على هوس الجهات الممولة له، وتعويلها الجنوني على حالات الربح والنجاح واسعي النطاق، كذلك لسطوع الهيمنة شبه التامة على مراكز (صناعة القرار)، ناهيك عن السينما ووسائل الاتصال والإعلام الجماهيري، كنوع جديد من (فلسفة الاحتكار) .

لكن من يطلق الفايروس، قد لا يأمن شرهُ دائماً !!

على الرغم من إمعان هوليود (معقل السينما ومختبر السياسة الأمريكية) في تشويه حقيقة المواطنين غير الأمريكيين - العرب والمسلمين خاصة - فان الأصوات المعارضة لاتجاهها تتكاثر من حين إلى آخر، لكن غالباً دون عناية واضحة أو تنسيق دقيق يُقدمها كوجهة نظر فاعلة تملك حيوية مجالها الحضاري، ناهيك عن شرعية وجودها إنْ في الحياة أو في الطموح لتحسينها . يضاف إلى ذلك إن الإطار السياسي الفعلي الذي تصدره وتروج له أمريكا هو بالضبط ما يدعم تلك الصورة النمطية المغالية في إظهار العرب أو آخرين غيرهم كإرهابيين أو مرتزقة .. كيف يا ترى ستكون صورة الغد، مع هوس التطرف الديني للمسلمين الموجه ضد الآخر في مختلف بقاع العالم ؟

أليس من الجدير بنا والحال هذه، أن نتقدم خطوة إلى الأمام في طريق انتشال واقعنا الفعلي من افخاخ التطرف والأصولية ومظاهر التخلف والعنف التي تمسك بمفاصل حياتنا الراهنة، إذا ما كنا جادين في تحسين صورتنا أمام العالم ؟

إن العالم العربي يمنح العالم الغربي دلائل أخرى لتمكين الأخير من إحكام الحصار عليه، ولإيغال الصورة - أيا كان نوعها - بتمتين صياغتها النمطية . ولن يكون هذا الشروع النمطي بمعزل عما يتصل بالأمر من سيل البطولات الأمريكية الخارقة والموجهة للقضاء على واقع السلوكيات اللاحضارية لغير الأمريكيين، والتي تحدد خطورتها - برأيهم - جسامة الدور الذي على الغرب أن يلعبه حفاظاً على الأهداف الشاملة لأبنائه في السلام والحرية والديمقراطية، وصولاً إلى جوهر النظام الديمقراطي الجديد أو فضاء العولمة الآمن في اقله .

ضمن هذا الاتجاه تندرج معظم الأنشطة الإعلامية والسياسية والثقافية الغربية سواء في التلفزيون أو السينما أو وسائل الاتصال كافة . وبما أننا محاطون بهيمنة شاملة لصورة نمطية يتناسل حضورها بغياب الوعي المضاد لها، الوعي النقدي الذي راهن (إدوارد سعيد) على فاعليته الثقافية، فنحن أوجب ما نكون لتفعيل وعي المواجهة الذي عليه أن يسارع لإنقاذ سرقة التاريخ على يدي صناع هوليود . ونشاط من ذاك النوع لن يكون مكرساً لمعاداة (الرأي الآخر) كما يتصور البعض، قدر محاولته كشف مظاهر العنف والتمويه المتضمنة في نموذج الخطاب السينمائي الأمريكي .

والخطاب السينمائي كما هو معلوم للجميع، الأداة الأكثر تأثيراً في حقل التلقي الجماهيري قياساً إلى باقي الفنون .

إذا كان الأمر على هذا النحو، فهل علينا تحمل مئات الأفلام السينمائية التي تتقصد خلط الحقائق وتزويرها بشكل يخدم توجهاتها المرحلية ويغذي تفوقها ؟

غالبية تلك الأفلام قريبة من ذاكرة المشاهد وتفضي عناوينها بمكنوناتها، منها فيلم (تحت الحصار-١٩٨٦) (أكاذيب حقيقية-١٩٩٤) (الرعد الاسود-١٩٩٦) (الخطأ هو الصواب)، وأخطرها فيلم (الحصار- ١٩٩٨) للمخرج (إدوارد زويك) الذي احب الجمهور فيلمه الشهير (أساطير السقوط) . في سياق الحديث عن هكذا نمط من الأفلام ومحاولة تأملها بشكل يتجاوز الوقوف عند فتنتها الظاهرة، من حقنا أن نتساءل : عن سبب عدم إعطائها القدر المناسب من الاهتمام والدراسة، حتى بات من المستغرب أن تذهب كثير من المؤسسات الرسمية في بلداننا العربية لحذر وصول هذه الأفلام إلى الناس، مع أن مشاهدتها والإطلاع عليها أوجب بكثير من الجهل بها .

أليس التأكيد على توعية المتلقي بنوايا صناعة تلك الأشرطة، يقتضي منا كشف الصورة أمامه، وإعطاءه الفرصة كاملة في ممارسة وعيه الخاص بها دون تلقينه وصفات جاهزة أو أحكام موجهة ؟

رحيل كاميران حسني المخرج الذي أدخل الواقعية للسينما العراقية

أبو ذر البناء

لا يختلف اثنان أن فيلم (سعيد أفندي) يعد من بين افضل ما قدمته السينما العراقية طوال مسيرتها التي ابتدأت بفيلم (ابن الشرق) عام ١٩٤٦ حيث حظي هذا الفيلم الذي كان من إخراج الفنان القدير كاميران محمد حسني باهتمام وإعجاب واستحسان جميع المعنيين بالسينما بما فيها النقاد والفنانين وجمهور المتلقين فضلاً عن مشاركته الواسعة في العديد من المهرجانات المحلية والعربية والدولية والمواسم والأسابيع السينمائية هنا أو هناك.. ومناسبة الحديث عن هذا الفيلم هو وفاة مخرجه البارز كاميران محمد حسني الذي وافاه الأجل المحتوم في الحادي والعشرين من تموز الماضي عن عمر ناهز السبعة والسبعين عاماً في لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية بعيداً عن بلده العراق الذي شهد صياغة حلمه السينمائي الذي ابتدأ منذ نعومة أظفاره يوم كان يهوى السينما بتأثير الأفلام التي كان يشاهدها في دور العرض السينمائية ببغداد وهو طالب في مدرسة التفيض حيث اعتادت العوائل العراقية ونخبة المثقفين على ارتياد هذه الدور وفق تقاليد وطقوس محددة لمتابعة ما تعرضه من أفلام عراقية أو عربية أو أجنبية.

ويذكر الباحث الراحل أحمد فياض المفرجي في كتابه (فنانو السينما) أن هواية حسني نمت عند تأسيس استوديو بغداد فتقدم إليه للمشاركة في فيلمه الأول (عليا وعصام) لكن الحظ لم يحالفه لتمثيل دور في هذا الفيلم الذي شارك فيه الفنانون: إبراهيم جلال وعزيمة توفيق وسليمة مراد وجعفر السعدي وعبد الله العزاوي فعقد كاميران حسني العزم على دراسة السينما أكاديمياً ليحقق بداية حلمه السينمائي وكان له ما أراد حين قرر السفر إلى أمريكا أواخر عام ١٩٤٧ إسوة بغيره من مخرجي السينما المعروفين..

وفي أمريكا خطى حسني أولى خطواته بدراسة السينما بشكل علمي وأكاديمي ابتداءاً من معهد شيكاغو ثم جامعة كاليفورنيا فكان أن حصل على شهادة الماجستير حيث كانت رسالته بعنوان (تأثير التقدم الآلي على تطور اسلوب التمثيل) في حين كان الجانب العملي منها كتابة سيناريو وإخراج فيلم (لورشيفا) الذي كان أول فيلم يخرجه في حياته وهو عن الرقص الهندي وبكاميرا (٦) ملم وبطول ١٩٥٥١٣ أصدر مجلة (السينما) ليسهم في نشر وزيادة الوعي والاهتمام والتعريف بالسينما ومكوناتها وعناصرها وأبرز أفلامها وكان هذا توطئة لدخوله لعالم الإنتاج عندها شد الرحال إلى بغداد وهو يمسك بزمام المبادرة لولوج عالم السينما من أوسع أبوابه وينتقل لتحقيق الخطوة الثانية الأكثر تقدماً وفي جانبيها الفكري والعملي إذا صح التعبير ففي عام ١٩٥٥ أصدر مجلة (السينما) ليسهم في نشر وزيادة الوعي والاهتمام والتعريف بالسينما ومكوناتها وعناصرها وأبرز أفلامها وكان هذا توطئة لدخوله لعالم الإنتاج والإخراج السينمائي فكون مع عبد الكريم هادي الحميد شركة اتحاد الفنانين التي أصبحت واسطة إنتاج أول فيلم روائي لكاميران محمد حسني ذلك هو فيلم (سعيد أفندي) الذي امتلك عناصر نجاحه منذ الشروع بفكرة إنتاجه وتمثلت هذه العناصر في أنه كان من إخراج كاميران حسني ذاته ومن ثم قيامه بمونتاجه في حين كتب السيناريو والحوار الفنان القدير يوسف العاني عن قصة (شجار لأدمون صبري والذي لعب - أي العاني - دور البطولة فيه أيضاً بمشاركة نخبة من ألمع نجوم الفن آنذاك بينهم زينب وعبد الواحد طه وجعفر السعدي ويعقوب الأمين.. فضلاً عن إنه كان فيلماً انتقادياً تأثر بالواقعية الإيطالية ليقدم بأسلوب ساخر سلبيات مجتمعنا العراقي في حقبة الخمسينيات فكان بذلك خطوة متقدمة لتأسيس واقعية سينمائية عراقية لم تألفها من قبل فتميز بواقعيته وحواره الجميل وأداء يوسف العاني. وقد عرض هذا الفيلم في مهرجان موسكو الدولي عام ١٩٥٨ ليكون أول فيلم يعرض في مهرجان دولي حسب ما ذكره أحمد فياض المفرجي.

ومن هنا احتل كاميران محمد حسني مكانته في الصدارة عند الحديث عن بدايات السينما في العراق وتطورها.. ولهذا فهو لم يتوقف عند هذه المحطة من مسيرته السينمائية فانتقل إلى محطته الثانية في فيلم (مشروع زواج) الذي كان أول فيلم كوميدي عراقي حيث دارت أحداثه في الأعظمية القديمة مستعرضاً مشروع زواج أحد أبناء هذا الحي من خلال مجموعة من الحكايات الضاحكة. وكان من سيناريو وإخراج الراحل كاميران حسني وحوار عبد الجبار توفيق ولي ولعب أدواره الفنانون رضا الشاطي وفخري الزبيدي وناجي الراوي والهام حسين وفريد شاكر وقدري الرومي وحميد المحل وساجدة حمدي وآمال يوسف وكريم عواد وقد عرض في سينما النصر عام ١٩٦٢.

وإذا كان هذان الفيلمان قد نالا الأولوية في بداية الفيلم الواقعي عراقياً بالنسبة لسعيد أفندي وبداية الفيلم الكوميدي لمشروع زواج فإن محطته الثالثة فيلم (الغرفة رقم ٧) شكلت أول فيلم مشترك مع لبنان وكان من سيناريو وإخراج حسني ذاته ومونتاج الراحل صاحب حداد وجرى تصويره في لبنان بمشاركة الفنانين عبد الله الشماس ونادية جمال ليقدم كوميديا مسلية اعتمدت على أداء الفنان الكوميدي رضا الشاطي...

وبهذا الفيلم اختتم كاميران محمد حسني مسيرته

الراحل كاميران محمد حسني مع زوجته وولديه عام ١٩٦٦